الأمثال بالحيوان في العربية

د. وان حسن وان مت، من أعضاء هيئة التدريس لقسم اللغة العربية
ولغات الشرق الأوسط بكلية اللغات واللسانيات، جامعة مالايا، كوالا لومبور، ماليزيا

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد...

فلما كانت الأمثال قسمات واضحة بيّنة لوجه الأمة التي صدرت عنها ووصف ضمني لوسائل حياتها وطرق معيشتها، وزيادة على ذلك أنها تكشف القناع عن نفسية الشعوب، وترفع الحجب عن طبائع الأمم، فترى النفوس البشرية في صفاتها وفطرتها الأولى.

لذلك جاءت هذه المقالة بعنوان: " **الأمثال بالحيوان في العربية** " لتجسّد تلك القسمات المفصحة عن وجه الأمة، فالمثل عند أهل الكلام نهاية البلاغة والفصاحة، فالأمثال توضح الأقوال ويتبيّن المراد بالقرائن. إذْ أنّ شخصية الدارس تتمثل في دراسات تلك الصور البلاغية التي أفرغها فيها أصحابها (البلاغيون) تجارب أنفسهم، باعتبار أن أمثال العرب وأقوالهم المأثورة وحكمهم السائرة كانت ثمرة تجاربهم، وإذْ كان الكثير منها منارات يهتدي بها الإنسان في حياته اليومية، مما لا غنى للدارس والباحث عن فهمها والإحاطة بها لغوياً، وتاريخياً، وأدبياً.

ظل المثل العربي في وجدان الأمة العربية شوقاً مثلما هام في ضميرها عشق الكرم، والشهامة، والبطولة، والإباء، فعاش أبناؤها بين تلك الخصال، مرددين ألحانها شعراً يمثل كل صفحات لحياة الإنسان العربي، لأن الشعر ديوان العرب السامي، وسجل أيامهم ومواضع علمهم ومواطن إبداعهم، فكان من الطبيعي أن ينال المثل العربي عناية بالغة من قبل الأدباء والنقاد القدامى والمحدثين.

ونظرا لندرة المراجع وقلة الكتابة في هذا المجال أري من المستحسن أن أقدم بعض التعريفات للأمثال العربية، ثم أبين بعض الخصائص والوظائف التى تتسم بها هذه الأمثال العربية.

١- التعريف الاصطلاحي للأمثال العربية

فقد قدم العلماء تعاريف كثيرة للمثل، منها:

اللفظ الذي يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، وتجتمع فيه أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية.

فالأمثال توضح الأقوال ويتبين المراد بالقرائن. إذْ أن الدارس يتمثل الصور البلاغية التي أفرغها فيها أصحابها أنفسهم، باعتبار أن أمثال العرب وأقوالهم المأثورة وحكمهم السائرة كانت ثمرة تجاربهم، فكانت ولاتزال الكثير منها منائر يهتدي بها الناسُ في حياتهم اليومية، مما لا غنى للدارس والباحث عن فهمها والإحاطة بها لغوياً، وتاريخياً وأدبياً، لأنه عند أهل الكلام نهاية البلاغة والفصاحة.

٢- وظائف الأمثال العربية وخصائصها

لما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل، في جل أساليب القول، أخرجوها في أقوالها من الألفاظ، ليخفّ استعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مئونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها وجسيم فائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت أثناء الخطاب، والحفظ موكل بما راع من اللفظ، وندر من المعنى، فهي عندهم (القدماء) نوعٌ من العلم منفردٌ بنفسه، لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه، وبالغ في التماسه حتى أتقنه. وليس من حفظ سطراً من الغريب فقام بتفسير قصيدة وكشف أغراض رسالة أو خطبة قادراً على أن يقوم بشرح الأمثال والإبانة عن معانيها، والإخبار عن المقاصد فيها، وإنما يحتاج الرجل في معرفتها مع العلم بالغريب إلى الوقوف على

أصولها، والإحاطة بأحاديثها، ويكمل لذلك من اجتهد في الرواية، وتقدم في الدراية، فأما من قصّر وعذّر وتأخر، وأنى يسوّغ الأديب لنفسه ذلك، وقد علم أنّ كل من لم يعن بها من الأدباء عناية تبلغه أقصى غاياتها، وأبعد نهاياتها، كان منقوص الأدب، غير تام الآلة فيه، ولا موفور الحظ .

ومن **خصائص المثل** كما بينها الأستاذ عز الدين:

"المَثَلُ هُوَ الصُّورَةُ الصَّادِقَةُ لِحَالِ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ، فَفِيْهِ خُلاَصَةُ الخِبْرَاتِ العَمِيْقَةِ التِي تَمَرَّسَتْ بِهَا عِبْرَ السَّنَوَاتِ الطَوِيْلَةِ منْ حَضارَتِهَا وَهُوَ الخُلاَصَةُ المُرَكَّزَةُ لِمُعانَاتِهَا وَشَقائِهاَ وَسَعَادَتِهَا وَغَضَبِهَا وَرِضَاهَا، نَجِدُ فِي طَيَّاتِهِ مُخْتَلِفَ التَّغَيِيْرَات التِي تُمَثِّلُ حَيَاةَ مُجْتَمَعِهَا وَتَصَوُّرَاتِ أَفْرَادِهَا بِاَسَالِيْبَ مُتَنَوِّعَةٍ وَطُرُقٍ ُ مَتَعَدِّدَةٍ كَالسُّخْرِيَّةِ اللاَذِعَةِ وَالحِكْمَةِ الرَادِعَةِ".

الأمثال العربية كنز ثمين حفلت به لغتنا العربية الجميلة، وتعتبر مخزونا فكريا يختزن حكمة الآباء والأجداد عبر تجاربهم الطويلة مع الحياة، نستشهد بها في كل مناسبة سواء كانت حزينة أم سعيدة.

٣- علاقة الإنسان بالكون والطبيعة

إن الإنسان جزء من الكون والطبيعة، بل هو سيد هذا الكون، فمنذ البدء كان ولايزال ينتفع بما تقدم له الطبيعة من وسائل العيش، وعوامل الاستقرار، وخصوصا بالثمرات والنباتات والحيوانات. الأشجار والنباتات والثمرات كانت ولاتزال موادعة مسالمة وهي تمنح الإنسان أطعمة ليقتات بها، وظلالا يستظل بها، وحطبا يطبخ، ويستنير بقبسها، وأليافا تصنع منها الأدوات التي تستخدم في الحرب والسلم.

بينما الحيوانات خصوصا البرية منها كانت تبعث في داخل نفس الإنسان مشاعر مختلفة تترجح بين القلق والتقديس والتساؤل هذا من تنوع نوع الحيوانات الأليفة والداجنة والوحوش والأنعام والبهائم.

وعلاقة الإنسان بالحيوانات تحدث لأغراض: أكل اللحوم - بالتربية والصيد - و شرب اللبن والركوب وحمل الأثقال والحرب والسلم والفخر والتعاطف وغيرها من الأغراض البدنية والنفسية.

إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه السلام وأخضع له الكائنات كلها، كما نرى في قوله تعالى:

- "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ". (٢٩)
- اللهُ وحده الذي خَلَق لأجلكم كل ما في الأرض من النِّعم التي تنتفعون بها, ثم قصد إلى خلق السموات, فسوَّاهنَّ سبع سموات, وهو بكل شيء عليم. فعِلْمُه – سبحانه– محيط بجميع ما خلق. فالحيوانات من ضمن ما خلق الله سبحانه وتعالى في الأرض.

فعلاقة الإنسان بالحيوان تبدأ من أيامه الأولى هذا كما وصفه الله سبحانه وتعالى عن قصة ابني آدم في القرآن الكريم في قوله تعالى: فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ (٣١)

لما قتل قابيلُ أخاه لم يعرف ما يصنع بجسده، فأرسل الله غرابًا يحفر حفرةً في الأرض ليدفن فيها غرابًا مَيِّتًا ليدل قابيل كيف يدفن جُثمان أخيه؟ فتعجَّب قابيل، وقال: أعجزتُ أن أصنع مثل صنيع هذا الغراب فأستُرَ عورة أخي؟ فدَفَنَ قابيل أخاه، فعاقبه الله بالندامة بعد أن رجع بالخسران.

فبعث الغراب نوع من ضرب المثل بغرض توجية سلوك قابيل نحو المفروض أن يفعله ويسلك به بعد أن قام بقتل أخيه هابيل. فانقاد قابيل بالمثل فسلك ما يسلكه الغراب في الحفر والدفن.

وقد نزل القرآن الكريم ببعض الأمثال على لسان الحيوانات أي المضروبة بالحيوانات. من تلك الآيات قوله تعالى:

- **مَثَلُ الذين حُمّلُواْ التوراة ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أَسْفَاراً**

مَثَلُ الذين حُمِّلُواْ التوراة أي عُلِّمُوهَا وكُلِّفُوا العملَ بهَا ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا أيْ لَمْ يعملُوا بِمَا في تضاعِيفِها منَ الآياتِ التي منْ جُملتِها الآياتُ الناطقةُ بنبوةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

،كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أَسْفَاراً، أيْ كتباً منَ العلمِ يتعبُ بحملِهَا ولا ينتفعُ بهَا، ويحملُ إمَّا حالٌ والعاملُ فيهَا مَعْنَى المثلِ أو صفةٌ للحمارِ.

وأيضا في قوله تعالى:

- **وَلاَ يَدْخُلُونَ الجنة حتى يَلِجَ الجمل فِى سَمّ الخياط**

وَلاَ يَدْخُلُونَ الجنة حتى يَلِجَ الجمل فِى سَمّ الخياط أي حتى يدخُلَ ما هو مثلُه في عِظَم الجِرْم فيما هو عَلَمٌ في ضيق المسلَك وهو ثُقبةُ الإبرة، وفي كون الجملِ مما ليس من شأنه الولوجُ في سمِّ الإبرة مبالغةٌ في الاستبعاد.

وفي الآية التالية ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا بالكلب، قوله تعالى:

- **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث**

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلب، لما أنه أخسُّ الحيوانات وأسفلُها، وقد مُثّل حالُه بأخس أحوالِه وأذلِّها حيث قيل: {إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} أي فحالُه التي هي مَثَلٌ في السوء كصفته في أرذل أحوالِه وهي حالةُ دوامِ اللهَثِ به في حالتي التعبِ والراحة فكأنه قيل: فتردّى إلى ما لا غايةَ وراءَه في الخسة والدناءة.

وهذه كلها إن دل على شئ فإنما يدل على أن العلاقة بين أبناء البشر والحيوانات علاقة وثيقة التي تأتي من اشتراكهما للقبة الواحدة والبساط الواحد.

والعلاقة بين الإنسان والحيوان عريقة ومستمرة منذ القدم إلى يومنا هذا. فبطبيعة الحال أنها مستمرة في العرب أيضا على امتداد العصور: جاهليا وإسلاميا، بدويا وحضريا، بل أنها تكون أشد وأقوى وأوسع مجالا. فالصيد والطرد تكاد تميز العرب عن الأجناس الأخرى من الأعاجم في علاقتهم بالحيوان. لأن العربي لم يكن من يجعل الصيد وسيلة للاقتيات فحسب، وإنما جعله وسيلة للترفيه والتسلي والتنشيط والتبارى والتفاخر والترويض وكسب المال وغير ذلك كثير.

٤- مختارات من الأمثال بالحيوان في العربية

إن الأمثال بالحيوان في العربية شأنها كشأن الأمثال العربية الأخرى ضربت لأغراض إنسانية وخصوصا في التأثير على السلوكيات البشرية وبيان الأحوال النفسية التي تتكون من الآمال والرجاء وضياع الأمل والتصرف تبعا لطبيعة النفس وبيان الحاجة وأثرها، وبيان الخوف والهلع والحيرة. وأيضا لبيان السلوك بناء على أثر نفسي، وتعديل السلوك إلى عدم الاكتراث، وغير ذلك من سلوك الإنسان.

وضربت أيضا لتوجيه السلوك الإنساني نحو الخضوع والتكيف بأمور الدنيا وقدرها التي لاتدوم على حال بل تنقلب وتتبدل وتتكيف من حال إلى أحوال أخرى. وإن أبناء البشرية كلهم مطالبون دائما بالاستمرار في الاجتهاد والسعي المتواصل، لكي يكون التبدل دائما من الأسوأ إلى الأفضل، ومن الخلف إلى الأمام، ولا بالعكس، يعني من الأفضل إلى الأسوأ ومن التقدم إلى التقهقر والتخلف. وضربت أيضا لتعديل السلوك البشرية في التعامل مع القدر من حسن الحظ وسوئه والجزاء من جنس العمل وجمال الدنيا وعدم الاغترار بها، وشرور الدنيا ومصائبها ومتاعبها، والإيمان بالفرج بعد اشتداد الأمور والمصائب، وعدم فقدان الأمل في حالة اليأس، والإحساس بالحرمان، وغير ذلك من الأمور التى لا تنفصل عن حياة بني الإنسان قط.

ولنبدأ بهذه الطائفة من الأمثال العربية، والمعتمدة لدى جميع من يتخذ المثل قاعدة يستند عليها، لتأدية غرض معين من أغراض اللغة العربية الواسعة والشاملة، والتي اعتبرها علماء اللغات في العالم، أنها اللغة الوحيدة الثابتة والراسخة رسوخ الجبال، والعميقة عمق البحار، على العكس من بقية اللغات الزاحفة والمتغيرة بشكل مستمر وسريع، حتى وصفها أحد المتخصصين في العلوم اللُغوية قائلاً: إنّ جميع اللغات تعتبر مثل الحيّة تغير ثوباً كل عام، بينما تزداد اللغة العربية حيويةً وإشراقاً وهي تمر على مصرع أعظم لغة عالمية عرفها التاريخ ألا وهي اللغة اللاتينية التي سكنت المتاحف وجدران الكنائس، ذلك لأن العربية هي لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فنراها مستقرة ثابتة وتستوعب جميع التغييرات. وهذه هي طائفة من الأمثال بالحيوان التي تتداول في المجتمع العربي وجغرافيته التي تؤثر على ضرب الأمثال:

الفرس

اتْبِعِ الفَرَسَ لِجَامَها والنَّاقَةَ زِمَامَهَا.

قال أبو عبيد: أرى معناه أنك قد جُدْتَ بالفرس واللجامُ أيسرُ خَطْباً فأتِمَّ الحاجة، لما أن الفرس لا غِنَى به عن اللجام، وكان المفضَّلُ يذكر أن المثَلَ لعمرو بن ثعلبة الكلبي أخي عَدِيٍّ بن جناب الكلبي، وكان ضِرار (في نسخة "خوار بن عمرو") ابن عمرو الضبي أغار عليهم فسَبَى يومئذ سَلْمَى بنت وائل الصائغ، وكانت يومئذٍ أمةً لعمرو بن ثعلبة، وهي أم النعمان بن المنذر فمضى بها ضِرار مع ما غنم، فأدركه عمرو ابن ثعلبة، وكان له صديقا، فقال: أنشدك الإخاء والمودة إلا رَدَدْتَ عَلَيَّ أهلي، فجعل يرد شيئا شيئا، حتى بقيت سَلْمَى وكانت قد أعجبت ضرارا، فأبى أن يردها، فقال عمرو: يا ضرار أَتْبِعِ الفرسَ لجامها، فأرسلها مثلا.

هُما كَفَرَسَي رِهَانٍ

يضرب للاثنين إلى غاية يَسْتَبِقَانِ فيستويان، وهذا التشبيه يقع في الاَبتداء، لاَ في الاَنتهاء؛ لأَن النهاية تُجَلِّى عن سَبْق أحدهما لاَ محالة.

يستعمل لبيان المساواة أو التقارب في الخصائص بين شخصين أو شيئين أو أمرين.

الثور

أَبْلَدُ مِنَ الثَّوْرِ

وصف الثور بالغباوة –كما رأيت — لان الثور لا يغير علي الثيران الأخرى التى تعاكس قرينته البقرة ويعامل معها معاملة زوجية. فسلوكه اللامبالاة تأتي من غباوته وبلادته. فهذا بخلاف ما يسلكه بعض ذكور الحيوانات الأخري مثل القط والديك والنمر والليث وغيرها من الحيوانات.

يستخدم هذا المثل بغرض توبيخ الشخص الآخر الذي يملك او له صلة بالغباوة والبلادة.

إنَّما أُكِلْتُ يَوْمَ أُكِل الثَّوْرُ الأبْيَضُ

يروى أن أمير المؤمنين عليا رضي اللّه تعالى عنه قال: إنما مَثَلي ومثلُ عثمان كمثل أثوار ثلاثة كنَّ في أَجَمَةٍ أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، ومعهن فيها أسد، فكان لا يقدِرُ منهن على شيء لاجتماعهن عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: لا يُدِلُّ علينا في أَجَمَتنا إلا الثورُ الأبيضُ فإن لونه مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكُلُه صفَتْ لنا الأَجمة، فقالا: دونَكَ فكُلْه، فأكله، ثم قال للأحمر: لوني على لو نك، فَدَعْني آكل الأسود لتصفو لنا الأجَمة، فقال: دونَكَ فكُلْه، فأكله، ثم قال للأحمر: إني آكِلُكَ لا مَحالَة، فقال: دعني أنادي ثلاثا، فقال: افْعَلْ، فنادى ألاَ إني أكِلْتُ يوم أكِلَ الثورُ الأبيض، ثم قال علي رضي اللّه تعالى عنه: ألا إني هُنْتُ – ويروى وَهَنْتُ – يوم قتل عثمان، يرفع بها صوته.

يضربه الرجل يُرْزَأ بأخيه.

الأسد

أسَدٌ عَليَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ

هو يظهر شجاعته في غير المواقف التي تتطلبها. فهو يهاجم أصدقاءه وإخوانه مثل الأسود الكاسرة ولكنه في مواقف النزال والقتال والحروب يظهر منه الجبن مثل النعامة التي تفز عندما تسمع ادني صوت.

يستعمل المثل لتوبيخ الجبناء الذين يتظاهرون بالشجاعة أمام الضعفاء.

مَنْ جَاوَرَ الأسَدِ لَمْ يَأمَنْ بَوَائقَهَا

البائقه تعني الداهية أو الشر. والمقصود من المثل أن من عاش بجوار الأسود فإنه لا يشعر أبدا بالاطمئنان أو السلامة لانه سوف ينال من شرورها ومصائبها الشئ الكثير لأن الأسود لا يهمها الحفاظ على الجار.

يستعمل هذاالمثل للحث على حسن اختيار الجار وهذا ينطبق مع مثل آخر: الجار قبل الدار.

الحمار

أخْلَى مِنْ جَوْفِ حِمَارٍ.

و"أخرب من جوف حمار" قالوا: هو رجل من عاد، وجَوْفه: وادٍ كان يحله، ذو ماء وشجر، فخرج بنوه يتصيدون، فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم، فكفر وقال: لا أعبد ربا فعل ذا ببنيَّ، ثم دعا قومَه إلى الكفر، فمن عَصَاه قتله، فأهلكه الله وأخرب واديه، فضربت العرب به المثل في الخراب والخلاء، وقالوا "أخْرَبُ من جوف الحمار" و"أخلى من جوف حمار" وأكثر الشعراء ذكره في أشعارهم، فمن ذلك قول بعضهم:

وَبِشُؤْمِ الْبَغْيِ وَالْغَشْمِ قَدِيماً * ما خَلا جَوْفٌ ولم يبق حِمَار

هذا قول هشام الكلبي. وقال غيره: ليس حمار ههنا اسمَ رجل، بل هو الحمار بعينه، واحتج بقول من يقول "أخلى من جوف العَيْر" قال: ومعنى ذلك أن الحمار إذا صِيدَ لم ينتفع بشيء مما في جوفه، بل يرمى به ولا يؤكل، واحتج أيضا بقول من قال "شَرُّ المالِ ما لا يزكى ولا يذكى" فقال: إنما عنى به الحمار، لأنه لا تجب فيه زكاة، ولا يُذْبَح فيؤكل.

كُلُّ الصَّيْدِ في جَوْفِ الفَرَا (الحِمَارُ الوَحْشِيُّ)

قَال ابن السكيت: الفَرَار الحِمَارُ الوَحْشِيُّ، وجمعه فِراء.

قَالوا: وأصل المثل أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدُهم أرْنَباً، والآخر ظبيا، والثالث: حماراً، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كُلُّ الصَّيْدِ في جوف الفَرا، أي هذا الذي رُزِقْتُ وظَفِرْتُ به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعْظَمُ من الحمار الوحشي.

وتألَّفَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبا سُفْيَانَ بهذا القول، حين استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فحُجِبَ قليلا ثم أُذِنَ له، فلما دخل قَال: ما كِدْتَ تأذَنُ لي حتى تأذنَ لحجارة الجلهمتين، قَال أبو عبيد: الصوابُ الجلهتين، وهما جانبا الوادي، فَقَال صلى الله عليه وسلم: يا أبا سفيان أنْتَ كما قِيلَ كل الصيد في جوف الفَرَا، يتألفه على الإسلام، وقَال أبو العباس: معناه إذا حَجَبْتُكَ قَنَعَ كل محجوب. يضرب لمن يُفَضَّلُ على أقرانه.

بَالَ حِمَارٌ فاسْتَبَالَ أَحْمِرَةً.

أي حَمَلَهن على البول. يضرب في تعاون القوم على ما تكره.

الذئب

الذِّئْبُ خَالياً أَسَدٌ

ويروى "أشَدُّ" أي إذا وجَدَك خاليا وَحْدك كان أَجْرَأ عليك، هذا قول قاله بعضهم.

وأجود من هذا أن يقال: الذئب إذا خلا من أَعْوانٍ من جنسه كان أسداً، لأنه يتكل على ما في نفسه وطبعه من الصَّرَامة والقوة فَيَثِب وَثْبة لا بُقْيَا معها، وهذا أقرب إلى الصواب، لأن "خالياً" حال من الذئب لا من غيره، والتقدير: الذئب يشبه الأسد إذا كان خالياً، كما تقول: زيد ضاحكا قمر، ومعنى التشبيه عامل في الحال، قال أبو عبيد: يقول: إذا قَدَرَ عليك في هذه الحال فهو أقوى عليك وأجرأ بالظلم، أي في غير هذه الحال، أراد لا تَعْجِزْ عنه ولا معين له من جنسه.

وقال أيضاً: قد يضرب هذا المثل في الدِّينِ، ومنه حديث معاذ رضى اللّه تعالى عنه "عليكم بالجماعة فإن الذئب إنما يُصيب من الغنم الشَّاذَّةَ القاصِيَة" قال أبو عبيد: فصار هذا المثل في أمر الدين والدنيا.

يضرب لكل متوحِّدٍ برأيه أو بِدِينه أو بسفره.

إذا ذكرت الذئب فأعد له العصا

إذا ذكر الراعي الحذر أن الذئب قد يهاجمه أعد العصا، حتى إذا جاء الذئب ليفترس الغنم دفعه بها فتنجو غنمه.

يستعمل للحث على الاستعداد للأمور وعدم الغفلة.

الظبي

تَرَكَ الظَّبْيُ ظِلَّه.

الظلل ههنا: الكِنَاسُ الذي يستظل به في شدة الحر فيأتيه الصائدُ فيثيره فلا يَعُود إليه، فيقال "ترك الظبي ظِلَّه" أي موضع ظله.

يضرب لمن نَفَر من شيء فتركه تركاً لا يعود إليه، ويضرب في هَجْر الرجل صاحبَه.

بِهِ دَاءُ ظَبْيٍ.

أي أنه لا داء به كما لا داء بالظبي، يقال: إنه لا يمرض إلا إذا حان موته، وقيل: يجوز أن يكون بالظبي داء ولكن لا يعرف مكانه، فكأنه قيل: به داء لا يُعْرَف.

الإبل

إِبِلِي لَمْ أَبِعْ وَلَمْ أَهَب

أي لم أبعها ولم أهبها. يضرب للظالم يخاصمك فيما لا حَقَّ له فيه .

إِنها الإِبِلُ بِسَلاَمَتِهَا.

قال يونس: زعموا أن الضبع أخذت فصيلا رازما في دار قوم ارتحلوا وخَلَّوْه، فجعلت تخليه للكلأ، وتأتيه فتغارّه إياه (تغاره إياه: تطعمه إياه)، حتى إذا امتلأ بطنه وسمن أتته لتستاقه، فركضها ركضة دَقَمَ (دقم فاها: كسر أسنانها) فاها، فعند ذلك قالت الضبع: إنها الإبل بسلامتها.

الخروف

كَالخَرُوفِ أَينَما مَالَ اتقى الأرضَ بِصُوفِ

كالخَرُوفِ أَيْنَما اتَكأ اتَكأ على صُوفِ

المقصود من المثل هو أينما يجلس الخروف يجلس على صوفه وعلى فروته، فهو لايشعر بصلابة الأرض وخشونتها. وهكذا يعيش ذو الرفاهية منعما لا يشعر بشئ من مصائب ومتاعب الحياة وقسوتها وإنما ينعم بخيرها وجمالها.

ويستعمل هذا المثل في وصف حياة المرفة المنعم.

الكلب

أَبْوَلُ مِنْ كَلْبٍ.

قالوا: يجوز أن يُرَاد به البول بِعَيْنه، ويجوز أن يراد به كثرة الولد، فإن البول في كلام العرب يكنى به عن الولد.

قلت: وبذلك عَبَّرَ ابْنُ سيرين رؤيا عبد الملك بن مروان حين بَعَثَ إليه: إني رأيتُ في المنام أني قمتُ في محراب المسجد وبُلْت فيه خمس مرات، فكتب إليه ابنُ سيرين: إن صَدَقَت رؤياك فسيقومُ من أولادك خمسة في المحراب، ويتقلدون الخلافة بعدك، فكان كذلك.

جَوِّعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْك.

ويروى "أجِعْ كلبك" وكلاهما يضرب في معاشرة اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به.

قال المفضل: أول من قال ذلك مَلِك من ملوك حِمْيَر كان عنيفا على أهل مملكته: يَغْصِبُهم أموالهم، ويَسْلُبهم ما في أيديهم، وكانت الكَهَنة تخبره أنهم سيقتلونه، فلا يَخْفِل بذلك، وإن امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت: إني لأرْحَم هؤلاء لما يَلْقَوْن من الجَهْد، ونحن في العيش الرَّغد، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سِبَاعا، وقد كانوا لنا أتباعا، فرد عليها "جَوِّعْ كلبك يتبعك" وأرسلها مثلا، فلبث بذلك زمانا، ثم أغزاهم فغنموا ولم يَقْسِمْ فيهم شيئا، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم: قد ترى ما نحن فيه من الجَهْد، ونحن نكره خروجَ المُلْكِ منكم أهلَ البيت إلى غيركم فساعِدْنا على قتل أخيك، واجلس مكانه، وكان قد عَرَف بَغْيه واعتداءه عليهم، فأجابهم إلى ذلك، فوثَبوا عليه فقتلوه، فمر به عامر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله "جوع كلبك يتبعك" فقال: ربما أكل الكلب مؤدِّبه إذا لم ينل شبعه، فأرسلها مثلا.

الطيور

شَرُّ أَيَّام الدِّيكِ يَوْمُ تُغْسَلُ رِجْلاَهُ.

ويقال"براثنه"وذلك أنه إنما يُقْصَد إلى غسل رجليه بعد الذَّبْح والتهيئة للاستواء قال الشيخ علي بن الحسن الباخَرْزِي في بعض مُقَطعاته يشكو قومه:

ولا أُبَالِي بإذلالٍ خُصِصْتُ به * فيهمْ ومنهم وإنْ خُصُّوا بإعزاز

رِجْلُ الدَّجَاجَةِ لا من عِزِّهَا غُسِلَتْ * ولا مِنَ الذل حِيصَتْ مُقْلَةُ الْبَازِ

إنَّ البُغَاثَ بأَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ

البغاث: ضربٌ من الطير، وفيه ثلاث لغات: الفتح، والضم، والكسر، والجمع بِغْثَان، قالوا: هو طير دون الرَخمة، واستنسر: صار كالنسر في القوّة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير.

يضرب للضعيف يصير قويا، وللذليل يعزّ بعد الذل.

إِذَا صَاحَتِ الدَّجاجَةُ صِياحَ الدِّيكِ فَلْتُذْبَحْ.

قاله الفرزدق في امرأة قالت شعراً. لأن من طبيعة المرأة لا تقول شعرا ولا هي شاعرة. فإذا قالت شعرا أنها سلكت سلوكا غير طبيعي والمخالف للأمور أو الأشياء الطبيعية، إذا لابد أن تبعد أو الابتعاد عنها.

استخدم المثل للحث عن التخلي أو الابتعاد عن الأمور أو عن أصحاب السلوك النادرة.

كَانَتْ بيَضّةُ الدّيكِ/بَيْضَةُ العُقْرِ.

وإنها مما يُخْتبر به عُذْرَة الجارية، وهي بَيْضَة إلى الطول.

يضرب للشيء يكون مرة واحدة، لأن الديك يبيض في عمره مرة واحدة فيما يقال، قال بشار بن برد:

قد زُرْتِنِي زورةً في الدهر واحدةً * ثَنِّي ولا تَجْعَلِيهَا بيضةَ الديكِ

قال أبو عبيدة: يقال للبخيل يعطي مرة ثم لا يعود: كانت بيضَةَ الديكِ، فإن كان يعطى شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة: كانت بيضةَ العُقْرِ، وقال بعضهم: بيضة العقر كقولهم "بَيْض الأنُوق، والأبْلَق العَقُوق" يضرب مثلا لما لا يكون.

أَجْبَنُ مِنْ صَافِرٍ.

قال أبو عبيد: الصَّافِرُ كلُّ ما يصفر من الطير، والصفير لا يكون في سباع الطير وإنما يكون في خَشَاشها وما يُصَاد منها، وذكر محمد بن حبيب أنه طائر يتعلَّق من الشجر برجليه، وينكِّس رأسَه خوفا من أن ينام فيؤخذ، فيصفر منكوساً طول ليلته وذكر ابن الأعرابي أنهم

أرادوا بالصافر المصفورَ به، فقلبوه أي إذ صُفِرَ به هرب.

ويقولون في مثل آخر "جبان ما يلوي على الصفير" وأرادوا بالمصفور به التُّنَوِّطَ، وهو طائر يحمله جُبْنه على أن ينسج لنفسه عُشًّا، كأنه كِيسٌ مدلى من الشجر ضيق الفم واسع الأسفل، فيحترز فيه خوفا من أن يقع عليه جارحٌ، وبه يضرب المثل في الحِذْق، فيقال "أَصْنَعُ من تُنَوِّط" وذكر أبو عبيدة أن الصافر هو الذي يصفر بالمرأة المريبة، وإنما يجبن لأنه وَجل مخافة أن يظهر عليه.

خَلاَ لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي.

أول من قال ذلك: طَرَفَة بن العبد الشاعر، وذلك أنه كان مع عمه في سَفَر وهو صبي، فنزلوا على ماء، فذهب طَرَفة بفُخَيخ له فنصبه للقَنَابر، وبقي عامةَ يومه فلم يَصِدْ شيئاً ثم حمل فخه ورجع إلى عمه وتحولوا من ذلك المكان، فرأى القنابر يَلْقطْنَ ما نثر لهن من الحبِّ، فقال:

يا لك من قنبَرَةٍ بمَعْمَرِ * خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي
وَنَقِّرِي مَا شِئْتِ أن تُنَقِّرِي * قَدْ رَحَلَ الصيادُ عنك فابْشِرِي
وَرُفِعَ الفَخُّ فمَاذَا تَحْذَرِي * لا بُدَّ من صيدك يوماُ فاصْبِرِي

وحذف النون من قوله "تحذري" لوفاق القافية أو لالتقاء الساكنين.

قال أبو عبيد: يروى عن ابن عباس رضي اللَه تعالى عنهما أنه قال لابن الزبير حين خرج الحسين رضي اللَه عنه إلى العراق:

يضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها.

حيوانات أخرى:

أَبْلَدُ مِنَ الّسُلْحَفَاةِ

يستخدم هذا المثل أيضا بغرض توبيخ الشخص الآخر الذي يملك او له صلة بالغباوة والبلادة. فوصف السلحفاة بالغباوة له علاقة ببطء حركاتها وفي تنقلاتها. وهذا مسايرا للقول "العقل السليم في الجسم السليم". فبطء في الحركات على ما يصفه البعض خلل في الجسم.

أَخَذَهُ أَخْذَ الضَّبِّ وَلَدَهُ

أي أخذه أخذةً شديدة، أراد بها هلَكَته، وذلك أن الضب يحرس بيضه عن الهوامّ، فإذا خرجت أولادُه من البَيْض ظنَّها بعض أحناش الأرض، فجعل يأخذ ولده واحداً بعد واحد ويقتله، فلا ينجو منه إلا الشريد.

يستخدم لبيان قساوة التعامل بين شخص مع احباءه و اصدقائه.

بَدتْ جَنَادِعُهُ (جنادع الضب).

يقال: الجَنَادع دَوَابّ كأنها الجَنَادب تكون في جُحْر الضبّ، فإذا كاد ينتهي الحافر إلى الضبّ بَدَت الجنادعُ فيقال: قد بدت جَنَادعهُ، واللّه جَادِعهُ، قالوا: والجُنْدُع أسود له قرنان في رأسه طويلان.

يضرب مثلا لما يَبْدُو من أوائل الشرّ.

الخاتمة

ومن خلال ماقدمناه وجدنا أن الحيوانات تحظى مكانا لايستهان به في ضرب الأمثال. وجدنا أيضا أن القرآن الكريم اتخذ وسيلة تقويم السلوكيات الإنسانية بضرب الأمثال بالحيوان، مثل الكلب والجمل والحمار وغيرها من الحيوانات. وكذلك اتجه الرسول صلى الله إلى ضرب الأمثال ببعض الحيوانات لنفس الغرض. وأحيانا قام الرسول صلى الله بتقرير ما جاء به العرب من أمثال. وهكذا نجد الأمثال العربية سواء الأمثال القرآنية والأمثال النبوية التي ضربت بالحيوان قبل الإسلام وبعده بحث معتمد على النصوص النثرية والشعرية في استخلاص النتائج من خلال تحليل النصوص وتقويمها، لتكون للأحكام المستنبطة عنها قيمة حقيقية في تقرير صورتها النهائية. وبات المثل العربي مضموناً أخلاقياً واجتماعياً، وفي نفس الوقت فهو لا يخلو من دلالة نفسية تتأمل مدلولات تلك اللفظة التي بدأت تظهر في تطور هذه اللفظة حضارياً وزمنياً بتطور الفكر والنقد الأدبي عند العرب، وهي تنتقل من عصر حضاري إلى عصر حضاري آخر فضلاً عن أنها باتت معياراً لغوياً. وتناول التمهيد لفظة المثل دلالتها اللغوية والاصطلاحية. بينت الأمثال أن الإنسان العربي قبل الإسلام كان إنساناً

اهتم بالمثل واستفاد من مادته الحكمية والقصصية. واستخدمه استخداماً موفقاً، بلفظه مرة وبمضمونه مرة أخرى

المراجع

مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٢م.

التمثيل والمحاضرة، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦١م.

جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٤م.

معجم الأمثال العربية، محمود إسماعيل صيني وآخرون، مكتبة لبنان، ١٩٩٢م.

أشهر الأمثال، الشيخ طاهر الجزائري، دارالفكر المعاصر، لبنان، ١٩٩٥م.